القوة المحركة فى القرية

القسم الأول

بقلم : ف . ل . براين

ترجمة الأستاذ حسن على داود

تمهيد :

منذ بضع سنين بدأت أهتم بالعمل فى القرية محاولا إظهار عيوب الحياة القروية وإصلاح تلك العيوب . . ولقد كنت أبغى أن أجعل هؤلاء القرويين يضطلعون بقيادة الحياة الريفية الجديدة .. ولعل المشكلة الكبرى التى وجدتها هى الشعب نفسه لأنه لا يريد اصلاح نفسه ، ولذلك فكل مجهود يفعله الغير — ما يلبث أن يخبو بمجرد أن يدير ظهره — إن من السهل أن يوقف المرء رجلا راقدا ، ولكن إذا لم يشاهد هذا الرجل الوقوف فانه يحتاج الى من يسنده طوال الليل والنهار . وهذا هو شأن الريفى فهو لا يود أن يقف . وذلك لأنه غير مقتنع حقا بأنه يستطيع أن يفعل ذلك أو أن فى ذلك خيرا يعود عليه . فالريفى جاهل لدرجة تثير الدهشة . وهذا الجهل هو ما يجعله أبله لا يعبأ بأى جهد يبذل فى سبيل تحسين حالته .

وإذا سألتنى عن كيفية التغلب على ذلك الجهل والتبلد فانى أجيبك بأن أحسن وأضمن وسيلة لذلك هو المدرس الذى يقيم طيلة حياته بين القرويين . يعيش معهم ويتعهد أطفالهم ، ولعل نتيجة من ذلك هى ما حدث بى أن أزور كل مدرسة صادفتها وأدون ملاحظات مدرسيها . وأنا مقتنع تماما أن المدرسة والمدرسين هم الأمل الوحيد الذى نتطلع اليه فى تجديد القرية . وأمام المدرس فرصة سانحة فهو يستطيع أن يساهم بجهوده فيتحمل جزءا من المسئولية العظيمة عن رفع القرية الهندية .

والفلاح زيادة على جهله وتبلده فهو أسير العادة التى تكونت فى ظروف تغاير تماما الظروف التى يعيش فيها الآن ، ولما كانت العادة ليست فى كل الأحوال قائدا أمينا ... فحص كل عادة بدقة ، فاذا ما ظهر صلاحها تمسكنا بها .

وليس أقدر على مساعدة الريفى وفحص عاداته من ذلك الرجل المثقف المتعلم والمقيم عنده . وهو قد تعلم أساليب الحياة الجديدة وأفلح فى تحرير نفسه من قيود العادة .

والانسان يستطيع أن يتعلم كل شىء فى طفولته بسهولة قبل تكوين العادات والأخلاق فقد يوجب أما ما يستطع تعلمه بعد عهد الطفولة فقليل . والعادات التى تتكون فى عهد الطفولة فلما يستطاع تغييرها . وعلى ذلك فكل شىء يتعلم فى الطفولة سواء أكان خيرا أو شرا فهو خالد مدى الحياة ، وإن مما يخفف العبء عن المدرس أن تكون الأمهات متعلمات ، ولكن الى أن يحين يحين ذلك اليوم السعيد الذى نرى فيه الأمهات المثقفات يبعثن بأطفالهن الوسيمين الظريفين والمنظمين المتقنى الحمام إلى المدارس ، فإن عبء الإصلاح يقع كله على عاتق المدرس ، وإذا

لم يوفق للتغلب على الصعاب والسير بالإصلاح، فإننا سنظل نشق طريقنا بين القذارة والفقر والمرض والانحطاط كما هي حالتنا الآن. وعلى ذلك فأمام المدرس فرصة نادرة لن تتوفر لغيره تفسح أمامه المجال لخدمة بلاده خدمة حقيقية طيبة.

القرية والمدينة سواء في الجمود ورفض تقبل الأفكار الجديدة والعمل بالتعليمات الغريبة عليها — فإني لو ذهبت الى القرية لأطلب من الأهالي تطعيم أطفالهم فإنهم لن يفعلوا ذلك وإن ذهبت خمسين مرة — لماذا لا يفعلون هذه الأشياء الواضحة؟ إن السبب الرئيسي في هذا القصور الذاتي والجمود هو الجهل وعدم توفر الثقافة بين الشعب خصوصا السيدات — فبين المسئولات عن الصحة والتغذية والملابس في العائلة، بل عن كل شيء ذي بال في الحياة القروية — وفي اعتقادي أن المرأة لا تعرف أن التطعيم ينقذ ولدها، وإلا لما رفضت أن تقدمه للتطعيم — إذا أن من غرائز الأنثى الطبيعية أن تسهر على صغيرها — سواء أكانت أنثى كلب أو بقرة أو قط أو أي حيوان آخر.
ومن كل ذلك يتضح أن السبب الأساسي في الجمود هو الجهل . . . ومن هنا تبدو أهمية المدرسة.

وإذا نظرنا للقرية من ناحية أخرى فإننا نجد أنها خالية من الكتب أو الصحف أو الراديو أو الألعاب المنظمة، بل ومن كل ما يوجد حركة فكرية فيها، وهي كذلك خالية من الدوافع العقلية والقوى المحركة والابتكارات.

فمن آلاف السنين وعقل الريفي يعمل بحالة واحدة متشابهة (روتين خاص)، ومن أجل ذلك كان الريفي جامدا خامل العقل غير قادر على تقبل اقتراحاتنا، وهنا أيضا تتجلى أهمية المدرسة. إذا بتعليم الأطفال السذج ونوعظ الآباء يمكن إدخال الجديد من الأشياء. وبذلك توجد في القرية حركة فكرية تنشط وتنمي عقول أهليها ... ووجود أي ناد بالقرية كفيل لكرة القدم مثلا له تأثير عجيب على القرية ... والمدرس يستطيع أن ينهض بالقرية جميعها في عشرسنين اذا ما جعل نفسه قدوة حسنة وله مركز يشع التقدم ويعمل على تحسين الزراعة والنشاط الفكري في القرية.

فلو تساءلنا عن السبب الرئيسي للجريمة لما وجدنا غير الكسل والبطالة.. فلو أنك شاهدت عراك كلبين في قرية لوجدت أن نصف السكان يهرعون للتفرج عليه، والقرية تشكو من الحالة النفسية السيئة وثلاثة أرباع الجرائم يسببها سوء الحالة النفسية — فلو تمكن المدرس من تنظيم الألعاب فأعطى الأهالي ما يتسلون بقراءته في المساء من جرائد محلية كائنا ما كانت، فإنه بذلك يفرج عن الأهالي — أي أنه ليس أقدر على بعث النشاط في القرية من المدرس ... وهنا أيضا ينفرد المجال أمام المدرسة.

وفى اعتقادى أن ركن الحياة الريفية الجديدة الركين هو المدرس . ولن يستطيع غيره أن يحل محله أو يسد فراغه ، وإذا لم يقم المدرس بذلك الواجب . . فأنا أول من يقول بقفل تلك المدارس التى تكلفنا الأموال الطائلة ولا تقدم أى فائدة للقرويين بالمرة .

ففى الوقت الحاضر لا تمر سنة أو سنتان على ترك الطفل للمدرسة إلا ويكون قد نسى كل شىء تعلمه ، وعلى ذلك فيجب العمل على أن يواصل الأطفال التعليم لأن كل ما يتعلم فى المدرسة هو كيفية التعلم . وأما الباقى فيتعلم فى الحياة . فإذا لم يعمل المدرس على تنشيط الحياة فى القرية فإن حركة التعليم ستقف ، وبذلك تظل القرية جامدة كما هى الآن .

والتنظيم هو سر النهوض بالقرية — إجمع الناس معا — فإذا ما انتظموا مرة واحدة فإن كل تحسين يمكن ادخاله ، وهنا أيضا يتسع الميدان للمدرس ، فان فى استطاعته تنظيم الألعاب وجمعيات التعاون . والبنشايت . وجمعيات الآباء ، وبذلك ينهض بالشعب جميعه .

وآمل أن يكون الدور الذى أردت أن يضطلع به المدرس والمدرسة قد صار واضحا . وكذلك آمل أن يكون إختيارى للمدرسة كأفضل عامل لأداء هذا الغرض قد صار مفهوما ، إنى أود أن أرى حياة جديدة فى المدرسة — لأن المدرسة تستبرىء محرك القرية . ولست أنتظر ولا يمكن لغيرى أن ينتظر أى نتيجة من محاولة عمل شىء فى القرية — اذا لم يكن بها محرك يسير العمل اذا ما وقفنا نحن عن إدارته . . والمفروض أن تكون المدرسة الريفية هى المحرك ، واذا أفلحنا فى جعلها كذلك فاننا نكون بذلك قد خطونا خطوة كبيرة .

وأهم شىء أن يقتنع المرء بصدق ما يفعله . فالظروف سيئة للغاية وقد تسير الى أسوأ . ولكنها قد لا تصل الى الدرجة التى نتصورها اذا حاولنا فقط أن نسير بها نحو التحسن ، وأنا مقتنع جدا وأحسب أن هذا شأن كل من يدرس الموضوع بأن القروى يستطيع بعمله وجهوده الخاصة أن يعمل الكثير فى تحسين صحته وعيشته وحتى دخله الحاضر اذا ما كف عن تبذيره وتراكله واتكاله على الحكومة فى تأدية كل أعماله . . إن الله يساعد أولئك الذين يساعدون أنفسهم ، والحكومة تحاول أن تفعل ذلك أيضا ، وليس من الخير للقروى أن يجلس فريسة للكسل واليأس ويانتظار أن يقوم شخص غيره بعمله . فلا أحد غير القروى نفسه يستطيع أن يحسن صحة الفلاح وطرق زراعته ، والحكومة تستطيع أن ترغب وتساعد بالنصائح والقدوة : ولكن العمل والرغبة يجب أن يأتى من الفلاح نفسه وإنه لمجهود بسيط ، وعلى الأخص لو جمع الريفيون جهودهم وعملوا مجتمعين بدلا من الاسترسال فى الحقد والأنانية الذين يفسدان كل عمل ، وهنا كذلك يجد المدرس فرصة سانحة . فاذا أقنع نفسه بأن هناك علاجا للأمراض الريفية الكثيرة ، وإذا أقنع نفسه إن الريفى يستطيع إذا شاء أن ينقذ نفسه فإنه يبدأ عمله القدوة والأمر ، والقدوة بنوع خاص ، فيقنع الريفيين ويعودهم على الاقتناع .

والخطوة الأولى بعد إتمام ذلك الموضوع هى إلهام الأبناء الثقة بالنفس، ويكون ذلك بكسب محبة أطفالهم وتعليمهم تقاليد مساعدة النفس والتعاون الجديدة التى يأمل أن يصل بها إلى إصلاح القرية .

وليس أجمل من الإشارة إلى الأعمال الجليلة فنقول مثلا لقد زرع هذه الشجرة ، لقد أنشأ هذا الذى ، ونحن فى حاجة إلى أناس يضطلعون بالأعمال ، ولقد سألت مرة رجلا عن عمله فقال لى أنه " يقضى عمره كيفما اتفق ويتلقى ما قسم له من معاش" وهذا بلا شك رجل يائس، ولكننا نريد رجالا يلقون بأنفسهم فى زحمة العمل ويسيرون به بلا توقف ، فلا يطمعون من وقت لآخر فى "بقشيش" أو مكافأة، نحن نريد أناسا طموحين يرددون "اللهم اجعل الحياة مكانا طيبا أقضى به حياتى القصيرة" .

والآن لا أستطيع أن أمنيك بأى جزاء أو شكر فى مقابل هذا العمل ، وكل ما أستطيع أن أقوله لك ، أنه فى يوم من الأيام سيشكرك الناس ، وستشعر أنت إزاء ذلك بسرور لا يشعر به إلا من أدى بنجاح أعمالا تمت وأثمرت .

القسم الثانى

النظافة

كلكم تعلمون حالة مدننا وقرانا القذرة وكيف أننا نعيب على الهيئات وعلى المجالس القروية والبلدية تلك القذارة المريعة . وهذه الهيئات لا تعمل غير تأنيب الكناس ، ولكنه مسكين لا يستحق التأنيب ، فإن عشرات الملايين من الكناسين لا يستطيعون تنظيف المكان إذا ما كان الأهالى تعذرى العادات وإذا لم تكن لديهم الرغبة فى النظافة ، ولعل السبب الأساسى للقذارة سواء فى القرية أو المدينة هو

(ا) كل شخص يلقى بقاذورات منزله أو حانوته إلى الطرق والشوارع .

(ب) هم يلقون بها كذلك فى كل مكان متسع فضاء أو خرب .

(ج) الناس يتبرزون فى كل مكان يشاؤون كما تفعل الدجاجة أو الكلب .

(د) وهم بذلك يعودون أطفالهم نفس العمل .

هذه هى العادات القذرة التى تسبب انتشار الرائحة الكريهة فى كل القرى أو المدن ، وستظل الحالة كذلك حتى تتغير عادات الأهالى وحتى يتعلموا كره القذارة وحب النظافة .

والعادات تغرس فى الطفولة . . . وعلى ذلك فالى أن تدرس النظافة فى المدارس لن ينال القرى أو المدن منها شىء ... والنظافة كذلك لن تعلم بالكتب أو المحاجم، وعلى ذلك فالاعتماد فى تعليمها للأطفال على الأم قبل دخول الطفل المدرسة . ولما كانت غالبية

الأمهات جاهلات غير متعلمات فإن الأطفال يدخلون المدارس وليس لديهم شيء من تعاليم النظافة . . . وحتى لو كان الوالد متعلما يعرف أساليب النظافة فإنه لن يستطيع حمل تلك الأساليب على أبنائه . فهو غالبا مشغول فى مزرعته أو حانوته وعلى الأم وحدها يستند تعليم الأطفال . . . ولما كانت الأم الجاهلة لا تستطيع ذلك فإن على المدرس أن يضطلع بعمل الأم ويعطى الأطفال التدريب الابتدائى فى أساليب النظافة غير المتوفرة فى منازلهم والواجب توفرها فيها . . . وإذا ما كانت لأمهات متعلمات فانهن يقمن بهذا العمل، وفى نفس الوقت يجب أن يقوم به المدرس أيضا .

وكلنا يعرف المثل السائد " النظافة من الإيمان " وكثيرا ما يتبادر إلى الذهن أن التقوى هى الدرجة الأولى، ويتلوها النظافة . . . ولكن هذا خطأ . . . فإن التقوى هى الشيء الأخير المحسوس الذى يقترب من النظافة . وعندما تتم النظافة فإننا نتعشم أن تنتشر التقوى . . .

والتعليم يعترف كما أظن أنه إعداد الجسم والعقل والروح لمعركة الحياة . والقراءة والكتابة هى طرق هذه الغاية فقط، والنظافة طريق آخر كبير لنفس الغاية . وكما يعلم الطفل ويمرن بواسطة الألعاب فإنه يجب أن يعلم كذلك ويمرن بواسطة النظافة . والنظافة بداية احترام النفس والصحة . ولعل أول شيء يجب أن نعمله مع النشء الجديد هو تعليمه الاغتسال والنظافة .

وأول شيء يعمل للمريض عند دخوله المستشفى هو تنظيفه . فالنظافة عامل عظيم لخلق وتنمية الاحترام الشخصى، وهى كذلك دواء ناجع للكسل وعدم النشاط، وأن عدم المبالاة بالنفس وعدم الانسجام هما كما تعلم المعضلة المربكة فى هذا البلد وهما اللعنة المنتشرة على الفلاح بل وعلى كل فرد فى البلاد

فالناس بدلا من أن يفتخروا بأداء أعمالهم على أحسن حال ممكن من الاتقان . فانهم يقنعون أو يسرون بأدائها على أى وجه . والنظافه والترتيب . علاج ناجع للقذارة والقذر والبذاءة والقذارة سبب من أسباب المرض والتبلد وعدم الظهور بمظهر التوقد بين الأطفال فالطفل النظيف دائما نشيط . أما الطفل القذر فهو دائما مشغول بمحاربه ملايين الجراثيم المرضية التى تمتص وتستنفد أغالبية قواه . وبذلك فلا يجد من القوى ما يعينه على استيعاب دروسه المدرسية . ومن أجل ذلك فللحصول على أحسن النتائج من التعليم يجب أن يكون الأطفال نظيفين . والنظافة جزء من أكبر أجزاء التعليم أهمية ... ولذلك فمن مضيعة الوقت أن نعلم الأطفال القذرين أو الذين جعلتهم القذارة غير أصحاء لانهم أقل استعدادا للوصول إلى الرجولة زيادة على أن حالتهم القذرة المزرية لا تمكنهم من استيعاب ما يلقى عليهم من المعلومات فالقذارة هى الظلام والتعليم هو النور والاثنان لا يتفقان، والجمود والقذارة لا يساعدان على التعليم الصحيح . فلا يمكن أن يوجد تعليم صحيح بغير نظافة كما لا يمكن أن يكون تمرين صحيح بغير نظافة أيضا .

وأظن أنه من السخف بمكان أن نسأل كيف تعلم النظافة ، ولكن من الواجب أن نفتش عن النظافة كل صباح فى الأطفال الصغار . وعلى المدرس المسئول عن السنة الأولى والثانية أن يتأكد كل صباح من أن الأطفال نظيفون ، وإذا لم يجدهم نظيفين فإن من واجبه أن يجعلهم كذلك . ومعنى هذا أن عليه أن يحتفظ بكمية من الصابون والماء وألا يتردد فى استعمالها. إذ أن من المحتمل أن يحضر الأطفال فى الأيام القلائل الأولى من منازلهم قذرين ، ولكن إذا ما رأى أن طفلا اعتاد الحضور قذرا فإن من الواجب أن يوضع ذلك الطفل موضع السخرية ... لأن من واجبه أن يسير بأفكار كل المدرسة إلى ناحية النظافة . وأظن أن ذلك الزمن الذى كان الأطفال يسحبون فيه قسرا إلى المدرسة قد انقضى . وإذا لم يفلح المدرس فى إيقاظ الشعور بحب النظافة فى نفس الطفل رغم جهوده فى ذلك ، فإن من الخير أن يعمل على فصله من المدرسة ...

وعلى المدرس أن يفتش الأعين والوجه والأيدى والأظافر والملابس وكل شىء ليتأكد من نظافتها ... ويجب أن تكون النظافة من الدروس البارزة .

يأتى بعد ذلك دور نظافة المدرسة وكل ما يحيط بها... فالمدرسة لها نفس العادات القذرة التى للمدينة والقرية . فكل مدرسة تلقى بقاذوراتها خلف أسوارها ، وعلى كل حال فإن فى مدارس القرى يستعمل كل تلميذ وكل مدرس الفضاء كمرحاض ... وعلى ذلك فأنتم أيها المدرسون المسئولون مباشرة عن تلك العادات السيئة القذرة التى تشوه لدرجة كبيرة كل قرية ومدينة .

ومن أجل هذا وجب أن يكون لكل مدرسة بعض المراحيض وبعض حفر للقاذورات على أن تستعملها هى فقط لكل الأغراض الصحية ... والمرحاض ذو الخندق هو أحد انواع المراحيض الملائمة للمدرسة كما يتضح ذلك من مجالة "الحفر" ، وسواء استعملنا أى نوع من أنواع المراحيض فمن الواجب أن يعود كل شخص على التمسك باستعمال المرحاض وكذلك أن يلقى بقاذوراته فى المكان المعد لها فقط ... وإذا نجحت فى ذلك تكون قد وضعت أساس النظافة للدن والقرى . وما دام النظام الحالى مستمرا فإنك لن تستطيع أن تحفظ نظافة القرية أو المدينة ... وطالما وجدت القذارة فلا بد من وجود المرض وعدم المبالاة بالنفس .

وحفر "الجور" فى القرى وحول المدن ضرورى جدا . وأود أن تكون قد درست أو ستدرس المجالة الخاصة "بالحفر" ... وليس من الضرورى أن تكون الحفرة على بعد مائة ياردة من القرية إذ أن طرف القرية قد يكون بعيدا على الأهالى. ولكن نهايات الأزقة التى يكدس الأهالى فيها قاذوراتهم الآن أمكنة ملائمة للحفر ، ومن واجبك أن تعلم الأهالى فوائد الحفر المختلفة للصحة والزراعة ، فالسماد المستخرج من الحفر يفوق السماد الطبيعى مرات عدة ... والسماد الغير متعفن يضر بالمزروعات ولكن المتعفن هو أحسن غذاء ممكن لها .. ويمكن بعمليات حسابية تقدير أحجام الحفر المكعبة والكميات اللازمة للحقول المختلفة الحجم .

واستعمال العربات ذات العجلة الواحدة يجب أن يشجع حيث أن طريقة السلال تلوث شعر وملابس الحمال وتجعله قذرا . والعربات الخشبية ذات العجلة الواحدة يمكن عملها في القرى، وهي تحمل قدر أربعة سلال في دفعة واحدة ويمكن استعمالها لكل الأشياء الأخرى عدا القاذورات .

وبعض القرى مزدحم بالبرك . وقد لفت نظري ذلك خصوصا في " المنجا " التي تعد من أقذر بقاع العالم. حيث لا يجد أطفالها مكانا يلعبون به سوى برك الطين السوداء وأكوام اليراز . وبعض البرك قد يكون ضروريا ولكن لا ضرورة للباقي مطلقا . زيادة على أنها تنشر البعوض وتشغل فراغا قد يلزم للأغراض الأخرى . ومن الممكن تحويل البرك غير الضرورية إلى حفر بالطرق البسيطة الآتية :

قيام حاجز صغير حول البركة ليمنع نزول مياه الأمطار اليها ثم تقسم البركة إلى حفر بمجرد جفافها . ثم تحفر كل حفرة حتى عمق ستة أقدام من مستوى سطح الأرض . والتراب الناتج من الحفر يستعمل في تعلية الأجزاء والممرات التي بين الحفر حتى المستوى الطبيعي لسطح الأرض وبذلك يكون لدينا بدلا من البركة القديمة عدد من الحفر .

والتراب الذي يلزم لإصلاح المنازل يجب الحصول عليه من الحفر المحفورة حديثا .. أو بتعميق برك الماشية وليس من حفر جور لا ضرورة لها .

ومن الطرق التي يمكن أن نستعملها في تنفير الأطفال من القذارة أن نعطيهم تاريخ حياة الذباب . فنقص عليهم حكايات عن أن الذباب يقع أولا على القاذورات ثم ينتقل منها الى أعين الأطفال أو الأطعمة . وعلى ذكر الذباب نورد من مضاره . نقل الكوليرا والدوسنتاريا وتقريبا كل الأمراض الداخلية . وهو كذلك يسبب معظم أمراض الجلد والعين . ويمكن اعتبار الذباب هو العامل المحقق لوجود كل هذه الأمراض . والذباب لا يستطيع التوالد في الحفر حيث أن الحفرة المحفوظة جيدا تبدأ في التخمر وتكون درجة حرارتها بحيث لا تساعد على انتشار الذباب . فإذا وضعت كمية من الروث في هذه الحفرة وكذلك بعض الزبالة والكناسة وأضفنا اليها قليل من الماء فإنه يحدث في الحال تخمر يمنع انتشار الذباب فيها . وعلى ذلك فحينما تحفر الحفر وتنظف القرية فلا يوجد الا القليل من الذباب .

وكل ما يتعلق بالحفر نقل عن الصين . فالصينيون يعتمدون على الحفر في زراعاتهم ولذلك فخصب أراضيهم لم يتأثر في آلاف السنين بالرغم من أنهم يحصلون على ثلاثة أو أربعة محاصيل في العام . وهو لا يضيعون أي فضلات أو أي شيء آخر يمكن أن يحول إلى سماد فهم يلقون كل شيء في حفرهم وهذه الحفر تتخمر علميا . والصينيون يجهزون غذاء نباتهم بهذه الطريقة من آلاف السنين .

ونظرا لوجود المتلذورات والملاريا فإن الكنين والناموسيات يعتبران من الأهمية بمكان، ولكن قد يقول الناس أنهم من الفقر بدرجة لا تمكنهم من الحصول عليها . ومن المؤلم أنهم فقراء ولن يستغنى أحدهم عن العمل . فالرجل الفنى يستطيع أن يجد طعامه اذا ما رقد مريضا . ولكن الفقير لا يستطيع ذلك لأنه يفقد أجر كل يوم يرقد فيه . والناموسية غير مرتفعة الثمن . فإن أطفال أفقر رجل يحملون من الحلى ما يفوق ثمنه ثمن الناموسية والكنين .

والبعوض يمكن مقاومته عن طريق المدارس ومن طريق فرق الكشافة، فيستطيعون لعب لعبة الصابون التى جربت بواسطة فرق الملاريا فى كتائب الجيش . فيغسل الأولاد أيديهم بالصابون ثم يسيرون الى الأركان المظلمة من الغرف . ويحدثون حركة فإذ ما طار البعوض يضربه الأولاد بأيديهم المملوءة بالصابون فيلتصق البعوض بالصابون . والولد أو النفر الذى يقبض على عدد أكبر من البعوض هو الفائز .

ويجب على الأولاد كذلك أن يراقبوا برك المياه . فالبرك والمستنقعات يمكن ملؤها بالتراب . لكى لا تترك مياه راكدة حتى فى الأرعية المكسوره . فإن أقل كمية من المياه الراكدة يمكن أن تسبب الملاريا . والبرك التى لا يمكن ردمها يجب أن يضاف اليها البترول. ولكن المياه التى تستعمل للغسيل أو سقى الماشية لا يمكن أن يضاف اليها البترول . وكل ما يمكن عمله فى هذه الحالة هو حفظ الحفاف نظيفة من الطين والحشائش حيث إن البعوض يرقد فى هذه الأشجار وقبل البدء بالردم أو إضافة البترول يجب الحصول على بعض عذارى البعوض ووضعها فى كوبة زجاجية لكى يراها الأولاد . والاحتفاظ بها حتى يفقس بعضها فيثبت لهم أن تلك الأشياء الملتوية هى صغار البعوض ثم يصب بعض نقط البترول فى الكوبة لكى يرى الأطفال كيف أن البترول يقتلها بسرعة . وعند ما ينتهى ذلك يمكن البدء بمقاومة البعوض .

والجدرى يعد من أخبث الأمراض التى تقتل وتسبب العمى وتشوه الأطفال والكبار على السواء، ومع ذلك فهو من الأمراض التى يسهل التخلص منها بالتطعيم مرة واحدة بعد الميلاد مباشرة. ثم مرة أخرى مابين سن الخامسة والسابعة وثالثة مابين العاشرة والثانية عشر وهكذا على مدى الحياة . وهنا أيضا يمكن الاعتماد على المدرسة حيث إنه لا ضرورة لقبول أطفال غير مطعمين فى المدارس بالمرة . إذ أن مدارس القرى تعمل على تهيئة النور ولكن عدم التطعيم هو الظلام، ومن ناحية أخرى يجب ألا يجلس طفل غير مطعم بجانب آخر مطعم فيسبب له العدوى . ومع عدم جواز طرد الأطفال من المدارس الا أنه من الواجب ألا يسمح لهم بدخول المدرسة الا اذا كانوا مطعمين . وأنه من واجب المدرس بصفته قائدا لقرية ومرشدها أن يوقف الناس على مزايا التطعيم حتى لا يكون هناك أى ضغط عليهم.

وخير طريق لضبط التطعيم فى المدارس هو عمل سجلات للتطعيم ، فاذا تعذر معرفة تاريخ أول تطعيم للطفل يوضع فى سجله علامة تدل على ذلك، ثم تكتب التواريخ الاخرى فى السجل عند حدوث التطعيم . فاذا انتقل طفل من مدرسة إلى أخرى فان نسخه من سجله تنتقل

معد . وان تعب أيام قلائل كل ست سنوات لشيء تافه بجانب ضمان العيش في أمان من مرض خبيث . واعمل أحدا لا ينكر ذلك إلا إذا كان مغرما بالجدري أو يود أن يسبب العدوى به لغيره .

ومن الطرق الأخرى للقضاء على الأمراض تزويد المنازل بالضوء والهواء الكافي ، فكل الميكروبات تعيش في الظلام وعلى ذلك لزم أن تكون كل المنازل جيدة الإضاءة والتهوية . وكل وسائل نقل العدوى من الحشرات القذرة كالذباب والنمل والصراصير والبعوض والبراغيث تحب الظلام والقذارة ، وعلى ذلك فكل حجرة يجب أن تشتمل على شبابيك وأجهزة تهويه

ولقد أرسلنا بعض الأشخاص في بعض الأمكنة ومعهم جهاز بسيط لتغيير الهواء مصنوع من اشرطة منسوجة ومثبتة في إطار خشبي وذلك لكي يتعلم الناس حيث أنه يكلف قليلا جدا . أي أن كل ما يتكلفه لا يتعدى المجهود . . هذا هو الميدان الواسع التي يتسع أمام المدرس الصالح . وسواء قدمت الادارات أو الوكالات الأخرى المساعدة أو لم تقدمها فان المدرس الصالح يستطيع أن ينتصب نفسه قائدا . ولكن المدرس الغير صالح لن يستطيع ذلك مهما قدم له من مساعدات .

كل ذلك العمل لا يمكن أن يتم في يوم . اذ اننا نحطم عادات آلاف السنين ، ولكن المدرسة هي المكان الذي فيه نستطيع التغلب على ذلك . حيث أن الطفل الصغير يصبح عبدا للعادة والمدرس هو الشخص الذي يستطيع أن يفعل ذلك حتى يمكن أن تجنب العادات السيئة وتستبدل بغيرها مما يدرس في المدرسة .

والأشياء المهمة للقرية وكذلك للمدرسة القروية هي الحفر والتطعيم والكبريت والماء وسيات وتنظيم المياه الراكدة والنوافذ وتهوية المنازل .

ومن الأشياء الأخرى الصغيرة التي نسيت أن اذكرها تغطية الآبار واستبدال استعمال القدر القذرة والدلاء بأي نوع من علبات الزفت لكي نضمن عدم انتشار الأمراض عن طريق آبار الماء . ولا يمكن أن يتقي بئرا امينا مادام كل يضع دلوه فيه .

وأخيرا نحن نود الأزهار في القرية فان الأزهار من أبدع هدايا الله . وأغلب المدارس الآن تزرع الأزهار ، ونحن نود أن نزين كل منزل ، ففي انجلترا توجد الزهور لمدة ستة أشهر فقط بينما هنا يمكن الحصول عليها مدى العام . فيجب أن تعلم الشعب حب الأزهار لكي يزرعوها ويجب أن نعلم الأطفال أن يستمروا للذة في أداء الأعمال وأن نغرس فيهم الغيرة على انجاز الأعمال . وتستطيع أن تستعين بزراعة الأزهار على ذلك . لأن الطفل يجد لذة في أن يقول "لقد زرعت هذه الأزهار" كما يجدها في اشارته إلى النوافذ حين يقول "لقد صنعت هذا الشباك" أو "لقد حفرت هذه الحفرة" وهكذا . وهذا جزء من مشروع محاربة القذارة والكسل والجمود ، وتحسين القرى .

والمدرسة أداة انارة وتحسين ، فمن الواجب أن تقسوم كذلك بالقيادة فتعمل أولا مع نفسها ثم مع قريتها ثم تقوم بعد ذلك برعايتها لتحسين القرى المجاورة لها. المدرسون منبوذون فى كل أنحاء العالم؛ فهم يأخذون أجورهم من الجمهور ممثلا فى مجالس المقاطعات أو أعضاء مجلس الشورى . وأنا واثق من أنه لو أثبت المدرسون بعملهم وجهادهم أنهم يستحقون أجرا أكثر فلن يكون هناك أى انتقاد ...

والتدريس رسالة يجب على من ينخرط فى سلكه أن يضع نفسه وحياته فى سبيلها . فان عقلية الشعب فى السنين المقبلة تتوقف على ما يدرس الآن فى المدارس ، وعلى ذلك فالمسئولية كلها ملقاة على المدرس .

والمدرس فى الهند يتحمل مسئول جسيمة ، إذ أنه فى انجلترا تقوم السيدات بكثير من الأعمال الخيرية فى القرى ، وبخاصة سيدات وبنات الكهنة وكذلك سيدات وبنات الأطباء والأشراف وأمثالهن ولكن فى الهند على المدرس أن يقوم بهذه الأعمال كلها .

القسم الثالث

الألعاب المدرسية ونواحى النشاط الأخرى

العمل المتواصل بغير لعب مهلك للشخص ، والألعاب تعتبر الآن من أهم وسائل التربية والتعليم ، والألعاب يجب أن تنظم ، والتنظيم يستدعى إدخال كثير من التحسينات . فالأطفال يحتاجون إلى مراقبة وإرشاد المدرس حتى لا يضيعون الوقت فى الضجة والمشاجرة ، ومن عيوب الألعاب الحاضرة ضخامة المجاميع وخلوها من التنوع والتسلية ، وكذلك اللعب بطريقة خاطئة مما يجعلها غير مسلية ... فالألعاب يجب أن تكون مسلية بحيث يقبل عليها الأطفال بدافع من أنفسهم دون الحاجة إلى إرشاد المدرس ، ويجب أن تلقن القواعد للأطفال حتى يعتادوا اللعب الصحيح . وإلا فقدت الألعاب نصف قيمتها كمفيدة للصحة ومعودة للنظام ومقوية لروح الجماعة .

وأحسن أنواع الألعاب المدرسية التى شاهدتها كانت فى حى "أمريتسار" حيث نظمت كل المدارس ، وبذلك قل عمل المدرس حتى صار مجرد الصفير كافيا لابتداء اللعب ثم معاودة الصفير لابتداء لعبة أخرى ، وهكذا كان يسير اللعب متغيرا كل خمسة دقائق فإذا ما انقضت فترة اللعب يكون كل طفل قد لعب حوالى نصف "دسته" من الألعاب المفيدة . وفى إحدى

المدارس كان لعمل يسير باشتراك المدرس بدلا من الاكتفاء بالوقوف والمراقبة . والألعاب كثيرة ولكن يشترط فى اختيارها أن تناسب سن وحجم الأطفال ، فالأطفال الصغار يجب وضعهم فى مجاميع صغيرة و إلا انقطع كثير منهم عن اللعب ووقفوا ساكنين معرضين للبرد والضجر ، يراقبون الأفعال التى تلعب والتى ينهكها التعب فتنفر منه . والأطفال الصغار فى حاجة إلى مساعدة المدرس ؛ والكبار يجب أن يحفظوا النظام من أنفسهم دون أية مراقبة .

واللعب يقسم بحسب عدد المسافات اللازمة للأولاد . ويجب انتخاب الألعاب متنوعة كألعاب الجرى والمشى والقفز وسرعة الخاطر وألعاب الدوائر والمربعات وألعاب الكرة وألعاب الخطوط وهكذا حتى لا يكون هناك تشابه ممل . ثم تنظم الألعاب بحيث يتخلل ألعاب الوقوف أو المشى البطئ حتى لا يضيق الأطفال من الحر نصف الوقت ويقتلهم البرد فى النصف الآخر . ويجب أن يكون لدينا قسمان من الألعاب . قسم للصغار وقسم للكبار ، وكل طفل يجب أن يعرف العلامة التى عندها يبدأ لعبه بحيث إذا سمع صفارة المدرس فإنه يسير من نفسه إلى مكانه و يبدأ اللعب ، وعندما يسمعون صفارة الخمس دقائق فان كل جماعة ترسل مسافة أخرى وتبدأ اللعبة الجديدة ، وكل لعبة يجب أن يكون لها اسم لكى يحفظه الأطفال إذا لزم ذلك وكل بضعة أسابيع يجب تغيير لعبة أو أكثر ولكن الألعاب المحبوبة لا تغير . فالقفز العالى والطويل يجب التمرين عليهما بانتظام . وهما يفيدان جدا فى تقوية أجزاء المخ والعين والجسم وزيادة ليونة الجسم وتكوين العضلات ، فاذا زاولتها كل المدارس فان الأرقام القياسية للقفز العالى والطويل ستترفع فى وقت قصير . ويجب أن يعرف الأولاد هذه الأرقام لأنه لا شئ يشجع الطفل أكثر من رغبته فى تحطيم رقم قياسى لغيره .

والألعاب القروية مهمة جدا ويمكن للمدرس أن ينشرها بين الأولاد الكبار والصغار فى القرية . فالكرة فى يد أمراس كثير من متاعب الحياة القروية والألعاب هى خير علاج لذلك . وهذا مما يقلل سرقة الماشية والجرائم والأضرار و يزيد تحسين الصحة وتقوية الروح وعلى العموم يهئ السعادة للناس و يبعدهم عن الأضرار وعن ضياع نقودهم فى الطرق الكثيرة المرتفعة . ولقد أوصى " ساتان " بتنوير القرويين مع حفظهم فقراء ؛ ولقد لخص " حمى الكوت " قوانين الكابادى وهى تحوى كما أعتقد مئات من ألعاب الأندية فلتفعل ذلك فى حيك أو فلتدخل العابا أخرى مما يقبل عليها الشعب . وإذا ما نظمت الناس للألعاب فانك تستطيع أن تسير هذه التنظيمات إلى القراءة المفيدة . أو النقد أو تعليم الكبار أو أى شئ آخر لتحسين الحياة الريفية . وألعاب التتابع القروية سهلة جدا و يمكن تحويرها لأى نوع آخر .

والغناء يجب ألا يلجأ إليه إلا إذا وجد من الأطفال ما يشجع على ذلك . لأنه يحتاج إلى أذن موسيقية و مدرس خاص والغناء الفير جيد مزعج للغاية .

وفى تعليم الغناء لا تسمح لطفل أو اثنين أن ينفردا به . بل لتكن أكبر عدد ممكن من الأطفال و يمكن أن تضم أكثر عدد من المرتلين أيضا . ولا تكتب أغانى إذا لم تكن شاعرا فذا .

ويمكن الحصول عليها من قسم التفتيش المدرسي للناحية . فالأغاني الرديئة لا تستحق شيئ . ويجب حذف الأغاني الطويلة الغير مسلية ولا تكتب دائما أغان غير جيدة لتلقى أمام زوار المدرسة ، فعند ما يزور المدرسة زوار يجب أن يغني الأطفال مقطعا من كل أغنية لكي يشترك أطفال مختلفون فى أغان مختلفة بذلك يمكن معرفة عدد ما لديك من الأغاني والملحنين .

ويجب عمل الجهد فى إدخال كل ما يحبه الأطفال لأن الأهالى عندما يرون إقبال الأطفال على ما تفعله فإنهم بدورهم يحفظون الأغاني ويرون الألعاب ويقبلون على حفلات التمثيل والمعارض التى تقيمها ويتعلمون كيف يحسنون مزارعهم ومنازلهم ، ويجب أن تأخذ الأطفال القرويين لكي يروا ماذا تعلمهم ، وعند عمل المعارض والنماذج يجب أن تعرف أن نصف القيمة متوقف على العمل ، والأطفال يجب أن يكونوا على علم بكل شيء يعرضونه .

ولا تحاول أن توجد شيئا مما تنهى عنه . ولا تنصح بشيء غير موجود فى مدرستك أو منزلك وإلا فقدت ثقة الناس .

الحدائق ... وخير طريق لدراسة الحدائق والمزارع ما يأتى :

١ — أن تعلم الأطفال كيفية زراعة الأزهار فى المنازل . وكذلك يجب أن تزرع كثيرا منها لتأخذ لأطفال البذور والشتلات لكى يزرعونها فى منازلهم .

٢ — أن تعلم الأطفال :

(ا) أن هناك أنواعا كثيرة من البذور بعضها أحسن من الآخر .

(ب) أن هناك أنواعا كثيرة من المحاصيل بعضها أجود من الآخر وتنضج فى مواعيد تناسب مع عدم انشغال الناس بالعمل كما يحدث فى المحاصيل العادية .

(ج) إن السماد الناضج خير من السماد غير الناضج .

(د) أن هناك طرقا مختلفة للزراعة . ويمكن إقامة التجارب على المحاصيل بزراعة صفوف منها وتسميد بعضها بسماد جيد والثانى بسماد غير جيد وترك الآخر بدون سماد ثم يرى الأطفال النتيجة ويعرفون جيدا ظروف كل بذرة ، وشرح للأطفال كل شيء مع الاستعانة بالرسم واجعل حديقتك جيدة وراقب نمو الأزهار وناقشها مع الأطفال كل أسبوع .

ولعله يكون من الزيادة فى الامتناع أن يقلم الأطفال الذين يظهرون ذكاء فى تجميل المنازل بالزهور . وكذلك التطعيم والترقيد .

الحلى ... يجب انتقاد الحلى والتحلى بالذهب والفضة بكل الوسائل الممكنة وأخيرا عليك أن تجعل عدم التحلى بين الأطفال من المفاخر وأن تبين أن ذلك من شأن البنات فقط وشدد على آبائهم فى ذلك .

الحساب : استعمل فترة تعليم الحساب لترى أن الحلي مضيعة للنقود بدون فائدة، وكذلك استعمل دروس الحساب لتبين مقدار خطورة ربح المركب والارهاق الناتج من المقاضاة والاحتفالات وقارن ذلك بتكاليف المستشفيات والمدارس... والتشجيع تربية الأبقار الجيدة بدل الرديئة تعمل العمليات الحسابية لبيان أن تكاليف الاثنين واحدة بينما تنتج الجيدة لبنا أكثر من الأخرى فإن لعشر بقرات التي تنتج وحدة جميعه من اللبن تأكل كل منها عليقة لبن مساوية لما تأكله بقرة تنتج عشرة أحجام من اللبن . بينما تأكل عشرة أمثال ما تأكله البقرة من العليقة وهي من أجل ذلك أكثر تكاليفا في النهاية حتى لو كانت البقرات الجيدة مرتفعة الثمن في الأول . أي يجب جعل الدروس عملية

التعليم الطبيعي : راقب الطيور وادرس طبائعها واكتب كشفا بالأنواع التي تساعد الفلاح بأكل الحشرات والآفات وكذلك تلك التي تضر الفلاح بأكل حبوبه وفواكهه . نظم هواية الأطفال وإجراء التجارب. ولا تأخذ كل ما في الكتب على حقيقته فعند ما تتعرض لموضوع الملاريا. استحضر يرقة واحفظها حتى تفقس، وإذا ما وجدت أي يرقة فاحفظها وغذها حتى ترى الى أي نوع من الحشرات أو الفراشات .

قيادة النفس : لقد وجدت أن الألعاب الداخلية غالية التكاليف في بعض المدارس فبدلا من شراء شبكات "النولي بول" من الحوانيت ، الأطفال كيف يعملون شباكهم بأنفسهم، وكذلك العابهم المتنوعة، فبواسطة مبراة الجيب وبعض الخشب وبعض اللوحات والاوراق والغراء والاقلام الملونه يمكنك عمل كل الألعاب المتنوعة تقريبا، وامل في عمل هذه الألعاب تسليه كلعبها تماما .

وحاول أن تستغل مهارة وقدرة الأطفال اليدوية . ففي إحدى المدارس مثلا لم يكن في المستطاع لعب كرة القدم حيث كان من المتعذر ترك أعمدة المرمى وسط الألعاب الأخرى .

ولكن يمكن التغلب على ذلك باقامة الأعمدة يوم اللعب فقط .

الزيارات : وعندما يزورك زائر لا تجمع أطفالك كلهم لكي يقفوا بلا عمل يتعذبون من البرد أو يقلقهم الانتظار ساعات طويلة ، بل باشر الألعاب أو الغناء أو استمر في الدرس، ولكن لا تقف بلا عمل ومجرد رؤية الزائر ابدأ الغناء إذا كان في برنامجك غناء فيصل الزائر وهم يغنون واذا كان البرنامج التالي تابدأ بمجرد رؤية الزائر الذي سيكون مشغولا وود أن ألقي نظره على كل مكان فلا تؤخره . واحذر من أن توقفه عند الباب ليستمع لنشيد طويل من ثلاثة أولاد ، ترحيب نعم يود رؤية كل الأطفال وليس ثلاثة وعلى ذلك تشغله مباشرة بين الأولاد ثم أبدأ الغناء .

" له بقية "

ترجمة حسن علي داود